كلمة من لابتداء الغاية في المكان قوله أولى بأن تصلي فيه فإن قيل كون أحد المسجدين أولى بأن
يصلي فيه لا يوجب المنع من الصلاة في المسجد الآخر فكيف يكون قوله لمسجد أسس على التقوى
أحق أن تقوم فيه علة للنهي المذكور لا تقم فيه أبدا أجيب بأن التعليل وقع بمجموع الأمرين أحدهما كون
مسجد الضرار مبنيا للأغراض الرديئة الأربعة المذكورة في قوله ضرارا وكفرا وتفريقا وإرصادا
وثانيهما كون المسجد الآخر مبنيا على أساس قوي هو أساس التقوى من الله تعالى بامتثال أوامره
واجتناب نواهيه فإن قيل لم قال أحق فيه مع أن المفاسد المذكورة تمنع جواز قيامه
في الآخر والجواب أن الكلام مبني على التنزل والمعنى لو فرضنا جواز القيام في مسجد الضرار لكان القيام في المذكور
أحق وأولى لكونه مبنيا على قاعدة محكمة فكيف والقيام فيه باطل لكونه مبنيا للأغراض الفاسدة قوله
يحبون أن يتطهروا من المعاصي حمل التطهر على الطهارة عن الذنوب والمعاصي لأن ما في هذا المسجد
من الرجال ذكروا في مقابلة أهل مسجد الضرار وإنهم قد وصفوا بمضارة المسلمين والكفر بالله
وتفريق جماعة المسلمين وإرصاد عادى الذين فينبغي أن يوصف مقابلوهم بأضداد ما وصف به
مقابلوهم بأضداد ما وصف به هؤلاء الأشقياء ولا يكون ذلك إلا بكونهم متبرئين عن الكفر والمعاصي
وحمله على الطهارة عن الجنابة قبل أن يناموا وعلى الاستنجاء بالماء بعد الحجارة ليس فيه بعد
والبنيان مصدر كالغفران والمراد به ههنا المبني فإطلاق لفظ المصدر على المفعول مجاز مشهور يقال
ضرب الأمير ونسج فلان أي مضروبه ومنسوجه والمعنى المؤسس بنيانه متقيا بحاله من الله ورجاء
ورضوان خير أم المؤسس بنيانه غير متق وشفا الشيء طرفه وشفيره والجرف الأرض التي جرفت السيول
أصلها أي حفرته وأكلته والجرف الأخذ الكثير يقال جرفت الشيء أجرفه بالضم جرفا أي ذهبت كله وجله
وهار مقلوب هائر يقال هار الجرف يهور إذا انشق من خلفه وهو ثابت بعد بمكانه فهو هائر ثم نقلت الياء
إلى مكان العين كما فعل في شاكي أصله شائك وصار هاري فأعل كغاز قوله بنيان دينه جاز
أن يحمل البنيان على بنيان المسجد ويكون المعنى أي الفريقين خير وأحق بالمصاحبة والصلاة معهم
ممن أسس بناء مسجده مرتبا به تقوى الله وطاعته وهم أهل مسجد قباء أو مسجد المدينة أم من أسس
بنيان مسجده على النفاق والكفر وتفريق المؤمنين والإرصاد كالمنافقين كيد المسلمين وتوجيهات المراد التي
وهمزة الاستفهام في قوله أفمن لإنكار المساواة والمشابهة بين المؤسسين ومن لمفت الفهم إلى معنى التوجيه
الآخر وهو أن يكون المراد بالبنيان بنيان الدين لكونه أنسب بسياق الآية ونظمها وذلك لأنه تعالى لما ذكر الذي
المذكورين أولا بقوله لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه وأشار إلى أن مسجد الضرار
مؤسس من أول يوم من أيام وجوده على ما يضاد التقوى أو ينافيه وثانيا أن أهل مسجد التقوى
يحبون التطهر من المعاصي والأخلاق الذميمة وأشار إلى أن أهل مسجد الضرار ملتزمون بارتكاب المعاصي و

٢٢٤

الأخلاق الذميمة ولما لم يكن أحد المسجدين كالآخر ولا أهل أحدهما كأهل الآخر نبه على أنه لا وجه
لقيامه عم في مسجد الضرار وبهذا تمت علة النهي ظاهرا إلا أنه لما ذكر أن أصحاب مسجد أهل التقوى
يحبون التطهر والإنقاء عما يشين أمر الدين وأشار به إلى أن أهل أصحاب الآخر لا يرغبون في التطهر عنه
بل يلوثون أمر دينهم بما يهدمه وينافيه بين أن بين الفريقين بونا بعيدا فقال أفمن أسس بنيانه
أي بنيان دينه على تقوى الله وطلب مرضاته بالاشتغال بطاعته خير أمن أسس على اتباع
الشهوات النفسانية والأهواء الباطلة فأداه ذلك الاتباع إلى السقوط في نار جهنم ولا
شك أن من أسس دينه على التقوى خير فثبت أن أصحاب مسجد التقوى خير حالا ومآلا
ولا خير في مسجد الضرار أصلا ولا وجه لأن يقوم عم معهم في مسجدهم أصلا وبهذا الكلام (أصحابهم)
يتم التعليل الكلي ويرتبط بعض الكلام ببعضه ارتباطا حسنا مقبولا لا يحصل فيما إذا حمل البنيان
على بنيان المسجد قوله كما قال فانهار به فاعل انهار إما ضمير البنيان وضمير به على هذا
للمؤسس أي تساقط بنيان دينه وتناثر به أي بصاحبه فسقطا معا في نار جهنم والباء في به
يجوز أن يكون معدية وأن تكون للمصاحبة وإما ضمير الشفا وإما ضمير الجرف وضمير به للبنيان
أو للباني المؤسس أي تساقط الشفا أو تساقط الجرف به أي بالبنيان أو بصاحبه في النار
قوله فأدى به يشعر أن يكون فاعل انهار ضمير الشفا أو الجرف لأن ضمير أدى لأحدهما
أي أدى الشفا وتأسيسه البنيان عليه إلى السقوط في النار وهو بيان لحاصل المعنى لا تعيين
لمرجع الضمير والجرف بتخفيف الضعف قوله تمثيلا لما بنوا عليه أمر دينهم من الباطل المنافي
للتقوى كالنفاق وإضرار المؤمنين [illegible] يعني أن الظاهر أن يقال في مقابلة قوله
أفمن أسس بنيانه على التقوى من الله وطلب مرضاته بملازمة طاعته في جميع تكاليفه أن يقال أم
من أسس بنيانه على الباطل الذي هو معصية الله تعالى فيما أمر به ونهى عنه ومخالفة رسوله صلعم
كإضرار المؤمنين وإضمار الكفر والنفاق وتفريق جماعة المؤمنين وموالاة أعداء الدين إلا أنه تعالى
سلك سبيل الاستعارة التمثيلية بأن شبه من أسس بنيان دينه على الباطل المذكور بمن أسس بنيان
بيته على شفا جرف هار يتسارع إلى أن يتساقط بما بني عليه فيؤول أمره إلى الهلاك الأبدي كما شبه من
أسس بنيان دينه على الحق الذي هو التقوى وطلب الرضوان بمن أسس بنيانه على قاعدة قوية محكمة
تثبت ويدوم ما عليها بناء فعبر عن الهيئة المشبهة بما على سبيل الاستعارة التمثيلية ثم رشح الاستعارة المذكورة
بأن أتبع للهيئة المشبهة بها ما يلائم الهيئة المشبهة بها وهو الانهيار والانهدام ووضع الترشيح
المذكور في مقابلة الرضوان من حيث أن كل واحد منهما كان متفرعا على ما أسس البنيان عليه ما بني عليه
فإن الرضوان متفرع على تأسيس أمر على التقوى والانهيار متفرع على تأسيسه على ما هو ضعيف مشرف على البطلان د

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)